التوظيف السياسي لحملات الملك نور الدين زنكي العسكرية على مصر لتحقيق المشروع الزنكي-الأيوبي فيها(559-567هـ/1163-1171م).

م . د جاسم محمد عباس

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

- أقسام واسط -

البريد الالكتروني : jassimmuhammed58@gmail.com

الكلمات المفتاحية: (التوظيف، السياسي ،الحملات، العسكرية ، مصر)

ملخصُ البحث:

يسلّط البحث الضوء على حقبة مهمة من تاريخ مصر خلال الحكم الفاطميّ (358 - 567هـ /969- 1171م)، ويبحث في طبيعة الحملات العسكرية الثلاث التي أرسلها الملك نور الدين زنكي(549-569هـ / 1154-1174م) إلى مصر، وتوجهاتها وأبعادها السياسية .

ففي الوقت الذي كان الملك نورالدين يهدف من وراء إرسال حملاته العسكرية إلى مصر وتحقيق مشروعه فيها ، هذا المشروع الهادف إلى إنهاء الخلافة الفاطمية، وإعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية في بغداد وإعادة نشر مذاهب مدرسة الخلفاء فيها، وظفَ كلّ قائدٍ من هذه الحملات أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي نفوذهم لتنفيذ مشروع آخر هو المشروع الأيوبي الساعي إلى إقامة كيان خاص بهم في مصر، وقد تحقّق لهم ذلك، إذ نجح صلاح الدين في إقامة الدولة الأيوبية في مصر، بعد حذفه لاسم الخليفة الفاطمي العاضد من خطبة الجمعة سنة (567 هـ/1171م) والخطبة للخليفة العباسيّ في بغداد.

وطبقاً لأهمية تلك الأحداث وقع اختيارنا لمشروع البحث، الذي جاء تحت عنوان التوظيف السياسيّ لحملات الملك نور الدين زنكي العسكرية على مصر، لتحقيق المشروع الزنكي-الأيوبيّ فيها(559-567هـ/1163-1171م) الذي استوعبه محوران، تناول المحور الأول المشروع الزنكي في مصر، في حين كشف المحور الثاني عن المشروع الأيوبيّ فيها، هذا المشروع الذي وُلدَ من تداعيات المشروع الأول.

The Political Employment of King Nur al-Din Zangi'sMilitary Campaigns Against Egypt to Fulfill the Zingi-Ayyubid Project therein (559-567 AH / 1163-1171 CE)

Lec. Dr. Jasim Muhammad Abbas
Al-Imam Al-Kadhum (peace be upon him) University College for Islamic Sciences / Wasit Branches

Key Words: (Employment, Political, Campaigns, Military, Egypt)

Abstract:

The current research sheds light on an important period in the history of Egypt during the Fatimid rule (358-567 AH / 969-1171 AD) and examines the nature of the three military campaigns that King Nur al-Din Zangi (549-569 AH / 1154-1174 AD) sent to Egypt as well as its orientations and political dimensions.

At a time when King Nur al-Din was aiming to send his military campaigns to Egypt in order for him to achieve his project there; this project aimed to end the Fatimid Caliphate, to get back it to the Abbasid Caliphate in Baghdad and to re-publish doctrines of the Caliphs School therein. Leaders of these campaigns "Asad al-Din Shirkuh and his nephew " Salah al-Din al-Ayyubi," have employed their influence and their power to implement another project which is the Ayyubid project that seeks to establish an entity of their own in Egypt, and this has been achieved for them, as Salah al-Din succeeded in establishing the Ayyubid state in Egypt, after removing the name of the Fatimid Caliph al-Adhidfrom the Friday sermon in the year 567 AH / 1171 AD) and the sermon of the Abbasid caliph in Baghdad.

According to the significance of these events, we have chosen the research project entitled as "political employment of King Nur al-Din Zangi's military campaigns against Egypt, to achieve the Zingi-Ayyubid project (559-567 AH / 1163-1171 CE), which came into two axes. The first axis dealt with the Zangi project in Egypt. While the second one revealed the Ayyubid project in it, this project came from the repercussions of the first project.

المقدّمة:-

الحمدُ لله الذي علمَ بالقلم، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على معلم الإنسانية، وهادي البشرية أبو القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ...

شكّلت الحملات العسكرية التي أرسلها لملك نور الدين زنكي(549-569هـ / 1154-1174م) إلى مصر، والتي سميت أيضاً ب(الحملات العسكرية النورية)، وما نتج عنها من أحداثٍ سياسية، شكلت أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، لما لها من دور واضح في تحديد المسار السياسي لتاريخ مصر وبلاد الشام -على حد سواء- حيث مثلت حلقة من حلقات التنافس المحموم بين الزنكيين والأيوبيين، و استغلت لتحقيق مشروع القوتين في السيطرة على مصر، والبحث الذي بين أيدينا، الموسوم(التوظيف السياسي لحملات الملك نور الدين زنكي العسكرية على مصر لتحقيق المشروع الزنكي الأيوبي فيها559-567هـ/1163-1171م) يوضّح طبيعة هذا المشروع.

اقتضت طبيعة دراسة موضوع البحث تقسيمه على: مقدمة، ومحورين وخاتمة، اشتملت المقدّمة على دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التي تمّ اعتمادها في البحث، وجاء المحور الأول بعنوان (المشروع الزنكي في مصر) أمّا المحور الثاني فتطرق إلى موضوع (المشروع الأيوبي في مصر). وأخيراً انتهى البحث بخاتمة تعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها.

اعتمدَ البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، كان في مقدّمتها كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير(ت630هـ/1233م) الذي أفاد البحث في محوريه الأول والثاني، إذ أمدّنا بمعلومات مهمة، تتعلق بالحملات العسكرية التي سيّرها الملك نور الدين زنكي، كما أفاد البحث أيضًا من كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) للمؤرخ أبي شامة المقدسي(ت 665هـ/1267م) الذي يُعد من الكتب المهمة، وذلك لمعاصرته للأحداث التي دوّنها، إذ جاء بتفاصيل كثيرة ومعلومات وافية عن قيام صلاح الدين الأيوبي بالقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر.

فضلا عن ذلك، أفاد البحث ايضاً من مراجع أخرى، كان من أبرزها كتاب (قيام الدولة الأيوبية في مصر) للمؤلف علي بيومي، وكتاب(ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر) للمؤلف عبد المنعم ماجد.

إنّنا إذ نرجو من الله العزيز القدير أن نكون قد وفقنا في النجاح بإضافة لبنة جديدة إلى صرح التاريخ الزنكي- الأيوبي، نأمل أن يكون البحث قد أستوفى أهدافه، والحمد لله في الأول والآخر، وعليه وحده تبارك وتعالى قصد السبيل.

المحور الأول :المشروع الزنكي في مصر:

في أواسط (القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي) ضعفت الخلافة الفاطمية في مصر، بسبب الصراعات السياسية[1]، والتنافس على منصب الوزارة، وكانت تلك الصراعات بمثابة فرصة سانحة لكي يتدّخل الصليبيون في شؤونها، ويتحفزون للسيطرة عليها، وعلى أثرِ ذلك أرسل الوزير ضرغام بن سوار[2] جيشاً، فالتقى مع الصليبين، إلا أنّه هُزم، وأصبح الطريق سالكاً أمام الصليبيين، فسيطروا على بعض المناطق المهمة، لكنهم وجدوا صعوبة في مواصلة زحفهم والتقدّم إلى الأمام، اذ كانت مياه الدلتا ومياه الفيضان عائقاً جعل الصليبين يتقهقرون إلى ساحل بلاد الشام[3] .

في ظل استحواذ ضرغام على الوزارة الفاطمية اضطر منافسه شاور بن مجير[4] في سنة (558هـ/1163م) إلى الفرار من مصر قاصداً بلاد الشام مستنجداً بملكها نور الدين محمود زنكي ومتعهداً له إنْ ساعده في إعادته إلى الوزارة والقضاء على منافسه ضرغام أن يدفع له ثلث خراج البلاد المصرية ويكون نائبه فيها وأن يتصرف بأوامره [5].

أمّا الملك نور الدين فيبدو أنه أدرك أهمية تلك الاستغاثة، ووجد ضالته فيها بتحقيق مشروعه المبيت مسبقاً في مصر، المتمثل بالقضاء على خلافتها الفاطمية، وضمها إلى مملكته، فهو لا يعترف بخلافة الفاطميين على مصر، ولا يؤمن بشرعية الخليفة العاضد(555- 567 هـ/1160-1172م)، وحكمه، إنما يدين بالاعتراف والولاء للخلافة العباسية في بغداد التي بينها وبين الفاطميين عداءٌ شديد [6]، و نعتقد أن هذا العداء لا يخرج عن الإطار السياسي والمذهبي على حد رأينا ، لذا نراه يستجيب إلى استغاثة الوزير المقال (شاور)، واستقر رأيه على إرسال أولى حملاته العسكرية إلى مصر سنة (559هـ/1164م) وأختار لقيادتها أحدًا أبرز قواده وهو أسد الدين شيركوه[7] كونه القائد الذي خَبرَ أساليب الصليبين القتالية، فضلاً عن ان الملك نور الدين كان **"قد تيمن بأسد الدين وتبرك بميمون لقبه، وانه لم يرسله في امر الانجح، ولم يولجه في مضيق الا فُتح"**[8] فاستدعاهُ من مقره في حلب- إذ كان ينوب بها عنه- إلى دمشق، وأمرهُ بالمسير إلى مصر مع عساكره بصحبة الوزير شاور، والعمل على إعادة شاور لمنصبه كوزير، ومحاسبه من كان ينازعه عليه[9].

هكذا بدأ الأمرُ ظاهراً، لكننا نعتقد إنّ الهدف الحقيقي الذي كان يخفيه الملك نور الدين هو الاطلاع المباشر على مصر بصورة أكثر الأمر الذي يسهل له السيطرة عليها وضمها إلى بلاد الشام ليحصل على دعم يعينهُ على الوقوف بوجه الصليبيين وأطماعهم في ملكه، كون مصر مشهورة بوفرةِ خيراتها، فلا غنى عنها لاستمرار ودوام حكمه، فضلاً عن ذلك انه كان يخشى استحواذ الصليبين عليها في ظل اضطراب أوضاعها الداخلية، فيخسر بذلك مورداً مالياً وبشرياً مهماً[10] .

نجحَ القائد أسد الدين شيركوه في الوصول إلى القاهرة وبصحبته شاور، وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي جعله مقدماً لعسكره وصاحب مشورته[11]، وقامَ بتصفية الوزير ضرغام، و في هذه الأثناء أصدرَ الخليفة الفاطمي العاضد مرسوماً بتولية شاور منصب الوزارة الفاطمية، لكن الأخير ما إن عادَ إلى منصبه وأحكم قبضته عليه حتى نقض وعوده للملك نور

الدين، وأرسل الى أسد الدين شيركوه- الذي كان معسكراً حينذاك خارج القاهرة- يأمره بالعودة الى بلاد الشام[12]، إلا أنّ شيركوه رفض ذلك، وأستعد لمهاجمة القاهرة سنة (559هـ/1164م)، وعندما تحقق لشاور انه لاقِبَلَ له بمواجهة الجيش النوري، كتبَ إلى الصليبين يستنجد بهم، وقد رحب هؤلاء بذلك آملين بسط سيطرتهم على مصر، فساروا نحوها وحاصروا شيركوه، لكن الحصار انتهى من دون قتال بعد أن استجاب شيركوه لطلب الصلح الذي تقدم به الصليبيون. وقد تكون سبب تلك استجابته لعدم قدرة شيركوه على الصمود إلى النهاية، نظراً لعدم وصول الإمدادات، وقلة الاقوات، هذا فضلاً عن مقتل عدد غير قليل من افراد جيشه[13]، وعاد بعد ذلك شيركوه إلى دمشق، واطلعَ الملك نور الدين على نتائج الحملة، وأعلمه بضعف مصر، كذلك فعل الصليبيون أيضا، فغادروا مصر، وعادوا إلى معسكراتهم بعد أن حصلوا على الأموال من الوزير شاور نظير وقوفهم إلى جنابه ضد شيركوه، وانتهت بذلك الحملة الأولى للملك نور الدين على مصر[14].

بعد حملته العسكرية الأولى، يبدو أنّ مصر أصبحت الشغل الشاغل للملك نور الدين، فكان يفكر ملياً بضرورة فتحها والسيطرة عليها، ومما لاشك فيه أنّ تفكيره في ملك مصر، وتنفيذ مشروعه فيها أصبح أكثر وضوحاً بعد تلك الحملة، لذا أعدّ العدة لتجهيز حملته الثانية إليها، وبالفعل انطلقت سنة (562هـ/1167م)، وكانت بأمرة قائده أسد الدين شيركوه أيضا الذي كان بدوره تواقاً للتحقيق المشروع الأيوبي فيها، كما سنرى من خلال مطاوي البحث، ومن المؤكد أن يكون اصطحابه لابن أخيه صلاح الدين في هذه الحملة أيضا خيرَ دليلٍ على ذلك[15].

في الواقع أنّ الملك نور الدين كان يدرك- بوصفهِ رجلٌ سياسي وعسكري متمرس- سهولة الاستحواذ على مصر، والاستقلال بها، لما تعانيه من فوضى، وتدهور سياسي، فخلفاؤها ضعفاء، ووزراؤها انتهازيون يضحون بمصالح وطنهم العليا في سبيل مصالحهم الشخصية الضيقة، فلا عجب أنّ يطمع فيها الملك نور الدين، ويسعى إلى تنفيذ مشروعه، لتحقيق طموحهُ السياسي [16].

لقد أشارت معظم المصادر التاريخية المعاصرة إلى أنّ السبب الأبرز من وراء إرسال الملك نور الدين حملته الثانية إلى مصر هو، لدرء الخطر الصليبي الداهم، لاسيما بعد الاتفاق الذي عقده الوزير شاور مع الصليبين[17]، إلا أننا نعتقد أنّ الغاية قد تكون أبعد من ذلك، فالملك نور الدين كان يسعى إلى تحقيق مشروعه في هذه البلاد الهادف إلى إنهاء الحكم الفاطمي ومذهبه الإسماعيلي، والدليل الذي نستندُ إليه في الادلاء بهذا الرأي هو دليلٌ استنتاجي استنتجناه عبرَ استقراء نصوص بعض المصادر المعاصرة التي أدلت بشيء من ذلك، فقد بلغَ من تحامل الملك نور الدين على الفاطميين أنّه عملَ على صرف الناس عن عقائدهم منذ أن كان حاكماً لمدينة حلب، ففي سنة (543هـ/1149م) أصدر أوامره الصارمة بـ**"منع المؤذنين من قولهم حي على خير العمل، وجلس تحت المنارة ومعه الفقهاء، وقال لهم: من لم يؤذن الآذان المشروع فألقوه من المنارة على رأسه، فأذنوا الآذان المشروع"**[18] ونص أبو شامة (ت665هـ/1267م) الذي أفصح فيه عن سبب تلك الحملة بقوله: **"جساً للبلاد-اي مصر- وتطلعا على احوالها"**[19]، وأيضاً ما قالهُ ابن خلكان(ت681هـ/1282م) : إنّ الملك نور الدين

كان يريد من إرسال حملته الثانية الى مصر:"**استعلام احوال مصر، فانه كان يبلغه إنّها ضعيفة من جهة الجند، واحوالها في غاية الاختلال، فقصد الكشف عن حقيقة ذلك**"[20].

وصلت الحملة النورية الثانية إلى مصر سنة (562هـ/1167م) وبغية تأمين سير قطعاتها أرسل أسد شيركوه عيونه ليستطلعوا له أخبار الصليبين، فلما عادوا حدثوه عن عددهم وعدتهم، و كما يبدو أنّ تلك الأخبار ثبطت من عزيمة الجيش، وفتت في عضده، لذا شاورَ شيركوه أمراءه، فأشاروا عليه بالتراجع والعودة إلى بلاد الشام، إلا أنّ أحدهم، وهو الأمير شرف الدين برغش[21] أستطاع ان يحول الأنكسار والهزيمة بين صفوف العسكر إلى ثبات ومرابطة، بعد أن قام خطيباً في العسكر، وخطبَ خطبته الحماسية التي حذّر فيها المتخاذلين بقوله: "**من يخاف القتل والجراح والأسر فلا يخدم الملوك، بل يكون فلاحًا او مع النساء في بيته، لئن عدتم الى الملك العادل-اي نور الدين-من غير غلبه وبلاء تعذرون فيه ليأخذن اقطاعاتكم وليعودن عليكم بجميع ما اخذتموه الى يومنا هذا**"[22].

واقعاً إنّ هذه الخطبة لم تأتِ من فراغ، ومن المحتمل إنّ القائد أسد الدين شيركوه هو الذي أمر قاتلها، لخشيته من تمرد العسكر عليه، وهو أمرٌ وارد كون أغلب العسكر لم يقاتلوا عن قناعة، واذا قاتلوا فذلك للحفاظ على امتيازاتهم ومكاسبهم، بدليل ما ورد فيها، لذا أيدها الجميع، وعملوا بها، حتى اجتمعت الكلمة على قتال الصليبين[23].

ما أن وصلت أنباء تحرك الحملة النورية إلى الصليبين، حتى بادروا بالانسحاب خائبين ممّا أملوا دون أن يشتبكوا في اية معركة، وقد أرّخَ المؤرخ ابن واصل(ت697هـ/1298م)، لذلك قائلاً:"**وردَ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا،وكفى الله المؤمنين القتال**"[24] اما الجيش النوري فانه انسحب بدوره أيضًا بموجب اتفاق عقدَ مع المصريين[25].

وممّا لا شك فيه أنّ الأيوبيين أفادوا كثيراً من تلك الحملات، حيث أتيح لهم ان يدرسوا مصر دراسة عملية خلال تلك المدة مما ساعدهم –لاسيما صلاح الدين-على السير بخطى ناجحة في تحقيق مشروعهم بتأسيس الدولة الأيوبية فيها - كما سنرى في قادم الصفحات - فشيركوه لم يصرف نظرهُ عن مصر عقب تلك الحملتين العسكريتين، وكان يدرك النوايا الصليبية فيها، الأمر الذي زاد من رغبته في العودة إليها[26].

نلاحظ أنّ أطماع الصليبين في مصر لم تقف عند حد معين، فقد عقدوا العزم على ان يدخلوا إليها مرة أخرى، ومن بين الأسباب التي دعتهم إلى إرسال حملتهم، إنّهم وقفوا على ضعفها، وسهولة السيطرة عليها في ظل تأزم الأوضاع الداخلية، فنقضوا ما كان قد استقر بينهم وبين المصريين من اتفاق[27]، واستعدوا في سنة (564هـ/1169م)، لتنفيذ حملتهم العسكرية، فتقدموا حتى وصلوا إلى مدينة (بلبيس)[28] تلك المدينة المنكوبة التي تعرضت إلى أشد النكبات لتعرضها للحملات عسكرية متعاقبة، وتمكن الصليبيون من دخلوها عنوة وبحد السيف بعد المقاومة الشرسة التي أبداها أهلها، فارتكبوا فيها الكثير من الفظائع، وخربوا دورها، وأبادوا سكنها، وسلبوا كل ما عثروا عليه من ممتلكات ، وهو ما يدلل لنا على النية الحقيقة للغزو الصليبي لمصر هذه المرة[29].

واصلَ الصليبيون تقدمهم من بلبيس باتجاه القاهرة، إلا أنهم لم يتمكنوا من دخولها، والسبب واضح وجلي هو استماتة أهلها في الدفاع عنها، ولعلهم قد تأثروا بما أصاب أهل بلبيس من ويلات ونكبات، إلى جانب ذلك نعتقد ان الصليبين اخطأوا بتعاملهم القاسي مع سكان بلبيس، حيث أعطى ذلك مثالاً عملياً لسكان مدينة القاهرة، لما سوف يلقونه على أيدي الغزاة، فيما لو تم لهم السيطرة على المدينة **"فحملهم الخوف منهم على الامتناع، فحفظوا البلد وقاتلوا من دونه"**(30).

بلا شك كان الملك نور الدين زنكي مدركاً لحجم المخاطر المترتبة على تنفيذ مشروعه في حال وقعت مصر في أيدي الصليبين، لذا لبى دعوات الاستغاثة، وسارع بإرسال قائده أسد الدين ومعه صلاح الدين على رأس حملة عسكرية ثالثة سنة (564هـ/1169م)، وقد ذكر المؤرخون أسباباً عديدة لإرسالها، منها: أنها أرسلت بناءً على دعوة الوزير شاور بن مجير(31) أو بناءً على طلب الاستصراخ الذي أرسله الخليفة العاضد الفاطمي -الذي قدر هو الأخر خطورة الوضع- إلى الملك نور الدين زنكي، حيث كتب إليه يستنجدهُ، وأرسل مع الكتاب شعور نساء قصره، وقد أشارت النصوص التاريخية إلى ذلك، بما نصه: **"هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج، فقام نور الدين لذلك... وشرع في تجهيز العساكر الى مصر"**(32)، او بناءً على دعوة أهل مصر الذين كانوا يراسلون الملك نور الدين زنكي اثناء الحصار الصليبي لبلادهم(33).

مع ما ذكرَ من أسباب أننا نميل إلى السبب الثاني، و هو طلب الاستغاثة الذي أرسلهُ الخليفة العاضد للملك نور الدين، لأن الخليفة عندما أدرك النوايا الصليبية على حقيقتها، كتبَ الى الملك نور الدين يستنجد به لإنقاذ مصر ممّا يحيق بها من أخطار، ولا نستبعد استنجاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم ببعضهم ضد عدوهم المشترك، ويتناسوا خلافاتهم السياسية، وما كان بينهم (34).

ولما علمَ الصليبيون بقدوم الحملة النورية، أصدرت قيادتهم العليا أوامرها للجيش بالانسحاب، ولعلهم وجدوا أنفسهم في هذه المرة على عكس المرات السابقة مضطرين إلى مواجهة جيشي مصر وبلاد الشام موحدين، فعقدوا الصلح مع الوزير شاور بن مجير الذي بذل لهم مائة الف دينار على ان يرد إليهم مليون دينار أخرى فيما بعد، واستقرت الأمور على ذلك فعندما **"رأى الفرنج أنّ البلاد-اي مصر-قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى الملك نور الدين، فأجابوا كارهين، وقالوا نأخذ المال فنتقوى به"**(35).

وعندما اقتربت الحملة النورية من القاهرة، رحل الصليبيون عنها، ودخلها القائد شيركوه، فاستقبله أهلها استقبال المنتصر، و وصلت أخبار ذلك إلى أسماع الملك نور الدين، فسُرَّ بها، وأمر بإذاعتها في الأفاق، وعدَ ذلك **"فتحاً جديداً لمصر، وحفظاً لبلاد الشام وغيرها** "على حد قول المؤرخ ابن الاثير(36).

يتضح لنا مما تقدم أن كلاً من الملك نور الدين زنكي وأسد الدين شيركوه كانا على ثقة أن مشروعهم في مصر لن تتاح له الفرصة ما بقي الوزير شاور بن مجير فيها، لذلك أُتخذَ القرار بتصفيته، وأوكلت مهمة ذلك إلى ابن اخ شيركوه صلاح الدين الذي دعا بدوره شاور إلى

وليمة دبرَ له فيها أمر اغتياله، فأمسك بطوقه، وقاده إلى مكان منعزل، وقطع رأسه، في حين ذكر بعض المؤرخين أنّ الخليفة العاضد هو الذي أمر بقتله لخيانته للمسلمين وموالاته للصليبين[37].

ومع اختلاف المؤرخين بمن قامَ بتصفية شاور، نعتقد ان محاولة إلصاق تهمة القتل بالخليفة العاضد مجافية للحقيقة، وان الغرض منها تبرئة ساحة الفاعل الحقيقي لهذه الجريمة، وهم آل زنكي، وبنو أيوب، كون عملية الاغتيال تخدم مشروعهم وتحقق أهدافهم في مصر، سيما بعد أن ترسخت أقدامهم في هذه البلاد.

مهما يكن من أمر، فقد رحّبَ الخليفة العاضد بأسد الدين شيركوه، وقلدهُ منصب الوزارة، وخلعَ عليه لقب الملك المنصور[38]، وفي الحقيقة إنّ تولي شيركوه هذا المنصب بأمر من الخليفة العاضد-على حد قول بعض المؤرخين- أمرٌ يحتاج إلى وقفة وتأمل، حيث لم يكن للخليفة أنذاك أي سلطة سياسية، وليس له من الأمر من شيء، ولا يعلم بشيء، فضلاً عن ذلك نعتقد انه ليس من الطبيعي أن يكلف الخليفة الفاطمي لمنصب الوزارة شيركوه الذي يختلف عنه مذهبياً، لذلك نرى أن التفسير المنطقي لما حدث هو ان أسد الدين شيركوه تولى هذا المنصب بإرادته وتماهياً مع مصالحه ومصالح الأيوبيين، وليس بتكليف من الخليفة العاضد، ولا باختياره لضعفه سياسيا[39]، وما يعضد ما ذهبنا إليه أنّ الملك نور الدين زنكي نفسه لم يرحب بتولي قائده شيركوه منصب الوزارة المصرية، واجتهد في إعادته لبلاد الشام، وكاتب الخليفة العاضد بالصدد غير مرة، لكن الأخير لم يكن يمتلك السلطة المطلقة لإجابته[40].

ولعل في ذلك دلالةٌ واضحة على ان الملك نور الدين كان قد أدرك نوايا أسد الدين وغرضه، وإنّه كان يعمل لمصالحه و مصالح قومه، ويدأب في تحقيق المشروع الأيوبي في مصر بإقامة الدولة الأيوبية فيها، ولعلنا نتوفق لبيان بعض هذا الأمر في هذه الأوراق إن شاء الله تعالى.

أخذ أسد الدين شيركوه بتنظيم شؤون البلاد المصرية بعد ان قضى على معارضيه وسيطرَ على مؤسسة الخلافة الفاطمية، لكنه سرعان ما توفي فجأةً في سنة (564هـ/1169م)، ولا نستبعد أمر تصفيته سياسياً، وقد يكون أمر مقتله قد دبر من المقربين إليه، وهو أمر مألوف في ظل الصراعات السياسية المحمومة أنذاك، بدليل انه لم يلبث طويلاً في منصبه سوى ثلاثة أشهر، وتولى الوزارة بعده أبنُ أخيه صلاح الدين، ولقب بالناصر[41].

بوفاة القائد الزنكي أسد الدين شيركوه أنتهى المشروع الزنكي في مصر، وبدأ الإعداد للمشروع الأيوبي فيها، وذلك على يد الوزير الطموح صلاح الدين الأيوبي، كما سيتضح ذلك جلياً في المحور القادم إن شاء الله.

المحور الثاني: (المشروع الأيوبي في مصر) :

إنّ المتتبع للتاريخ الأيوبي يُدرك بيسر حقيقة نوايا حكامه، وسعيهم الدؤوب لبناء أنفسهم، وإقامة ملك خاص بهم في مصر وبلاد الشام، وما يمكننا ذكرهُ بالصدد أنّ الملك نور الدين زنكي مرض بحلب سنة (547هـ/1152م) مرضاً شديداً، حتى شاع الخبر بموته، فأراد حينها أسد الدين شيركوه أن يستغل ذلك، ويرسخ أقدام بني أيوب في بلاد الشام، ويقيم ملكاً لهم نيابةً عن الملك نور الدين، فسارع - وكان في اقطاعه بحمص- بالتوجه نحو مدينة دمشق ليستولي عليها، لكن أخاه نجم الدين أيوب حاكم المدينة أنذاك أنكر عليه ذلك و وبخهُ بقوله: "**هلكتنا، والمصلحة ان تعود الى حلب، فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت، وان كان قد مات إنا في دمشق نفعل ما نريد من ملكها** "وقد عملَ شيركوه بنصيحةِ أخيه، وعاد إلى حلب، وخدم الملك نور الدين حتي شفي من مرضه[42].

يتضح مما تقدم مدى أطماع الأيوبيين في الملك، فلم يختلف الإخوان في ذلك، سوى ان شيركوه أراد التعجيل في الأمور، فحذره أخوه، ونعتقد انه كان حكيماً في تحذيره، كون الملك نور الدين شفي من مرضه، فلو انه شفي بعد إعلان شيركوه تمرده والإفصاح عن نواياه، لذهب المشروع الأيوبي أدراج الرياح، وفشلت مخططاته على ان الأحداث في مصر لم تلبث ان غيرت وجهة الأيوبيين، وأوجدت في الوقت ذاته لهم مجالاً أكثر ملاءمة وصلاحية لتحقيق مشروعهم، عندما وصلت الاضطرابات فيها خلال مدة سنوات البحث إلى أوج ذروتها حتى اضطر خليفتها العاضد الفاطمي الى الاستغاثة بالملك نور الدين، وكان ذلك إيذاناً بفصل جديد في التاريخ الأيوبي، وفي تاريخ مصر على حد سواء[43].

مرّ بنا من خلال البحث المهام التي أوكلها الملك نور الدين زنكي لأسد الدين شيركوه بوصفه القائد الاعلى لحملاته العسكرية، على انه من الممكن ان نقول: إن الأخير عمل على ترغيب الملك نور الدين بفتح مصر، ونعتقد ان غرضهُ من وراء ذلك وهو التخطيط للاستحواذ على مصر وملكها، فقد كانت هذه البلاد الشغل الشاغل له حتى يخيل لنا أنّه أصبح أكثر اهتماما بها من الملك نور الدين زنكي نفسه[44]، وقد أصبح ذلك جلياً بعد الحملة النورية الاولى، بل إن بعض الباحثين المحدثين ذهب إلى أبعد من ذلك بالقول: "**إن شيركوه بقي في الشام بعد الحملة الاولى يعد العدة في تجهيز حملة ثانية أملا في تأسيس إمبراطورية لنفسه**"[45] فقد كان شيركوه بعد حملاته المتكررة على مصر تراوده فكرة أن يصبح "عزيز مصر "وهو لقب ورد في القرآن الكريم للدلالة على فرعون مصر[46] ، لذلك نرى ان نواياهُ تلك أثارت حفيظة الملك نور الدين زنكي، فحرص على أن لا يرسله بمفرده الى مصر، فأرسل معه جماعة من كبار امرائه؛ ليكونوا عيوناً له على تحركاته، وكان ذلك تحت غطاء المعونة والمشورة العسكرية[47] ويوم ان سمع بخبر تولي شيركوه منصب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي، لم يرحب بذلك، بل على العكس أقلقه الأمر، بحسب نص أبو شامة :"**لما تصل به-اي نور الدين-إن اسد الدين وزر للعاضد وأستبد بالأمر في ذلك الصقع، أمضّه ذلك وأقلقه، وظهرت في مخايل قسماته وفلتات كلماته الكراهة وأخذ في الفكرة في أمره، وسهر له الليالي**"[48].

وبذلك لم تغب عن بال الملك نور الدين أطماع الأيوبيين وسعيهم لإقامة مشروعهم في مصر، فحاول إعادة شيركوه الى بلاد الشام، وكاتب الخليفة العاضد بهذا الشأن، ولعلهُ كان يستعد لإتخاذ إجراءات أكثر تشدداً لولا أنّ المنية أدركت شيركوه فجأة بعد شهرين من توزيره، و خلفه في منصبه ابن أخيه صلاح الدين الايوبي[49] .

لقد اختلفت أراء المؤرخين حول مسألة تولي صلاح الدين لمنصب الوزارة، فرأى ابنُ الأثير ان الأمراء الفاطميين المحيطين بالخليفة العاضد أشاروا عليه بتوليته، مستغلين بذلك صغر سنه، ممّا يسهل التحكم فيه[50] ، في حين رأى كل من أبي شامة وابن خلكان ن الخليفة العاضد هو الذي اختار صلاح الدين للوزارة، وشاركهم الرأي في ذلك ابن واصل[51].

في قبال ذلك نرى أنّ تلك الآراء بعيدة عن الحقيقة، فكما بينا سابقاً، لم يكن الخليفة العاضد ولا أمرائه قادرين على فرض أوامرهم، والسبب واضح كون مؤسسة الخلافة أنذاك لا تملك أي قرار سياسي، وإنّما فرض صلاح الدين نفسه فرضاً، ولم يكن من الخليفة سوى السمع والطاعة، أو ربما يكون صلاح الدين قد تولى الوزارة بوصية من عمه أسد الدين شيركوه بدليل أنه كان يباشر مهام الوزارة، ويقوم بتدبير أمورها إبان وزارة عمه، ولعل ذلك يلقي الضوء على ان الأيوبيين كانوا يعدُّون صلاح الدين إعداداً خاصاً، فهو في نظرهم من سيكمل مشروعهم، وسيملك مصر من بعد وفاة عمه[52].

وكيفما يكن الأمر، فأن صلاح الدين أنصرف عقبَ توليه الوزارة على ترسيخ مركزه فيها، فأخذ يسير بخطى ثابتة ومدروسة في وضع المشروع الأيوبي حيز التنفيذ، ومن ذلك احتواءه للرأي العام المصري ومحاولة كسب وده وتأييده، ثم عمل على أضعاف الخليفة العاضد وأتباعه والتضيق عليهم[53]، بعدها أتخذ من المال وسيلة لكسب الناس، فألغى الضرائب عنهم، وسامح في المتأخر عليهم من الأموال العائدة للدولة، وتقرب من الطوائف والأقليات المصرية، فسمح لهم في إقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية كما يريدون[54].

وفي خطوة له للتقوي بأهله، طلب صلاح الدين في سنة(565هـ/1170م) من الملك نور الدين زنكي ان يرسل اليه والده وأقاربه، وكانت حجته في ذلك هي ان يتخذهم عوناً له وسنداً لإدارة البلاد المصرية، وقد أجابه الملك نور الدين على طلبه بعد تردد، كونه لم يرحب بوزارة صلاح الدين، وأعظم ذلك وأنكره، وكان يخشى من استقلاله بحكم مصر[55] لكنه في الوقت ذاته كان يرى ان مشروعه في مصر لم يكتمل كله بعد، فما أنفك يطالب بإنهاء الخلافة الفاطمية فيها، وفي تصوره ان ذلك عمل كبير وخطير، قد لا يصلح له إلا صلاح الدين، من أجل ذلك نراه يوافق على طلبه، ويرسل اليه والده وإخوته[56].

وكان ممّا قام به صلاح الدين تمهيداً لمشروعه أيضا، أنّه قضى على كثير من مظاهر مذهب التشيع الإسماعيلي في مصر، فكان الإجراء الحاسم الذي أمضاه في سنة(566هـ/1171م) بأضعاف التأثير الروحي للمؤسسة الدينية للدولة الفاطمية، فأبطل من الاذان عبارة "علي ولي الله، وحي على خير العمل، والجهر بالبسملة"، وألزم خطباء المساجد بذكر الخلفاء الراشدين الأربعة في خطبة صلاة الجمعة[57]، وفرض حظراً على إقامة مجالس الدعوة الإسماعيلية التي كانت تعمل على تثقيف الرأي العام المصري لفكرة الولاية التي تبنتها

العقيدة الإسماعيلية، ثم اتّجه صوب الجهاز القضائي، فعزل معظم القضاة الفاطميين الذين كانوا على المذهب الإسماعيلي، وقطع رواتبهم وامتيازاتهم، وحصر القضاء في أصحاب المذهب الشافعي، وشملت تلك الإجراءات كافة البلاد المصرية[58].

ولم يكتفِ صلاح الدين بذلك، فعمل على التقليل من مكانة الخليفة العاضد والاستهانة بشخصه، وصادر أمواله، وأستولى على جميع ممتلكاته، ثم فرض عليه الإقامة الجبرية، فصار لا يخرج من قصره البته، وكأنه أراد بفعله هذا ان يعود الناس على نسيانه، الامر الذي يدلل على مقدار تحكمه بمؤسسة الخلافة ونفاذ أمره عندها[59].

ثم خطى صلاح الدين بعد ذلك خطوة كبيرة نحو تقويض المذهب الإسماعيلي ومحوهِ من مصر، وإحلال المذهب الشافعي محله، فأتبع استراتيجية تقضي بإنشاء المراكز التعليمية والثقافية، وإرغام المصريين على التمذهب شافعياً، و أمر مؤذني المساجد بذكر العقيدة الأشعرية من على منائرها، فكانوا يواظبون على ذلك في كل ليلة، وقد وثق لنا ذلك أبن علان الشافعي(ت1057هـ/1647م) بقوله: **"فلما ولي صلاح الدين بن أيوب حمل الناس على الاعتقاد بمذهب الأشاعرة، فأمر المؤذنين ان يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية التي تعرف بالمرشدية، فواظبوا على ذكرها في كل ليلة"**[60].

لقد كان الملك نور الدين زنكي يرى ان اكتمال مشروعه في مصر لا يتحقق إلا بالقضاء على الخلافة الفاطمية، لذلك لم يكتف من صلاح الدين بأن يكون نائبه في مصر، فكان يضغط عليه كثيراً بأن يرجع هذه البلاد الى حظيرة الخلافة العباسية، ويلغي الحكم الفاطمي، لكنّ صلاح الدين كان يماطل ويتعمد التأخير في تنفيذ الأمر، و لعله كان يخشى من انتفاض المصريين ضده، إلا أنّ الملك نور الدين أرسل إليه خطاباً **"يلزمه بذلك إلزامًا لا فسحة له فيه"**[61] لاسيما بعد تدخل ديوان الخلافة العباسية الذي أرسل بدوره إلى الملك نور الدين خطابا يعاتبه فيه على التأخر في إقامة الدعوة للخليفة العباسي المستضيء (566-575هـ/1170-1180م) في مصر، ومما جاء فيه: **"وهذا الأمر تجب المبادرة اليه لتحظى بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت، لاسيما وإمام الوقت متطلع الى ذلك بكليته وهو عنده من أهم أمنيته"**[62]

ممّا تقدم يتضح مدى خطورة المشروع السياسي المُبيَّت بين الخلافة العباسية والملك نور الدين زنكي على وحدة الجبهة الإسلامية، كونه مشروعاً سياسياً مذهبياً محضاً، وبدلاً من ذلك نرى أنّه كان الأجدر بديوان الخلافة العباسية العمل على رأب الصدع بين المسلمين وإصلاح ذات بينهم، والتنسيق مع الخلافة الفاطمية للتصدي للخطر الصليبي الداهم على الاراضي الإسلامية .

على الرغم من ذلك كان صلاح الدين متخوفاً، فلم يبادر إلى إلغاء الخلافة الفاطمية، ولا قطع الخطبة لخليفتها، لأنّه كان ينتظر الفرصة السانحة؛ ليكمل مشروعه، وقد سنحت له الفرصة أخيراً حين مرض الخليفة العاضد في سنة(566هـ/1171م) وأصبح جليس الفراش، فمنعَ طبيبه الخاص من الحضور إليه لمعاينته ومداواته[63].

فضلاً عن إلحاح الملك نور الدين زنكي قام صلاح الدين بمشاورة أمرائه في ذلك، فمنهم من وافق ومنهم من كان متردداً، فلما كانت الجمعة الثانية من شهر محرم سنة(567هـ/1172م) أمر صلاح الدين خطباء المساجد بقطع الخطبة للخليفة العاضد الفاطمي، وقطع ذكر أسماء الخلفاء الفاطميين في مصر بعدها توفي الخليفة العاضد يوم عاشوراء في قصره، وانقضت تلك الخلافة[64].

تم بذلك الانقلاب-على الخلافة الشرعية للمصريين- المشروع الذي خطط له، ونفذه كل من الملك نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي معاً، وانتهت الدولة الفاطمية، ثم بلغ الانقلاب مداه، وفرضت الأحكام العرفية في البلاد لاحتواء اي ردةٍ فعل من قبل المصريين **"وجرس في البلد بألا يتأخر أحد عن الجمعة وحضورها والفريضة وأدائها ومن عُثر عليه، عومل بالحبس والتقييد واللوم والتفنيد فحضر من لا يريد الحضور"**[65].

وهكذا تحقق المشروع الزنكي الرامي إلى إنهاء التشيع في مصر، وعودتها إلى أحضان الخلافة العباسية، والمشروع الأيوبي المتمثل برغبة صلاح الدين بإقامة الدولة الأيوبية بعد أن وظّفَ كل شيء لصالحه، حينما انقلب على سيده الملك نور الدين زنكي، وتمرد على أوامره وانفرد بحكم مصر، وقد عملَ الملك نور الدين على معاقبته، وتوترت العلاقة بينهما، ووصل الأمر بالملك نور الدين أنه أراد الدخول إلى مصر لينتزعها من صلاح الدين، إلا أنّ المنية وافته، فتوفي سنة (569هـ/1174م)[66].

الخاتمة:-

بحمد الله وتوفيقه، انتهى بحثنا هذا الذي تناول فيه موضوع التوظيف السياسي لحملات الملك نور الدين زنكي العسكرية على مصر لتحقيق المشروع الزنكي-الأيوبي فيها(559-567هـ/1163-1171م).

وقد خلصَ إلى نتائج أهمها:-

ا- لم يكن هدف الملك نور الدين من حملاته العسكرية الثلاث التي أرسلها إلى مصر تأمين حدود هذه البلاد من الخطر الصليبي الداهم، ونجدة خليفتها الفاطمي العاضد نصرةً للإسلام الواحد، إنما كان يسعى إلى تحقيق مشروعه بضم مصر إلى مملكته في بلاد الشام، والقضاء على المذهب الإسماعيلي، و نشر المذهب الشافعي فيها، وإعادتها لمظلة الخلافة العباسية.

2- بذلَ كل من القائد أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي جهوداً عسكرية كبيرة ودهاءً سياسياً كبيراً ، لتحقيق المشروع الأيوبي في مصر ؛إذ وظفوا تلك الحملات لصالحهم، وتمكنوا بحيلهم ومكرهم السياسي من تقويض حكم الخليفة العاضد، والانقلاب عليه، وإقامة دولتهم في مصر سنة (567-648هـ /1171-1250م) .

3- لم يكن صلاح الدين الأيوبي وفياً لسيده الملك نور الدين زنكي، الذي أرسله إلى مصر نائبًا عنه، فعمل جاهداً على الاستقلال بها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً .

4- بيّنت الدراسة سطوة الجانب السياسي على الجانب الديني، فلم تعمل القوى الإسلامية الكبرى أنذاك – سيما الخلافة العباسية- على رأب الصدع والتقريب بين المسلمين، وتوحيد صفوهم تحت رايتها، للوقوف بوجه الخطر الصليبي، بل على العكس عملت على التعجيل في نهاية الخلافة الفاطمية، ونرى أنّ هذا مشروعٌ تاريخي رافق الحراك في المجتمع الإسلامي منذ سنة (11هـ/ 633م) ولغاية هذا التاريخ.

هوامش البحث:-

(1) في سنة(558هـ/1163م) تولى شاور بن مجير السعدي منصب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمي ولقب بأمير الجيوش، واستحوذ على الأموال العامة وقتل كل من يشك في ولائه له، فأساء السيرة، إلا انه لم يكد يمضي على وزارته تسعة أشهر حتى نافسه على منصبه أبو الأشبال ضرغام بن سوار القائد في الجيش الفاطمي الذي تمكن من هزيمة شاور بعد قتال بين الطرفين خلع بعد ذلك الخليفة العاضد الوزارة على ضرغام ولقبه بالملك المنصور، ينظر: عمارة اليمني، النكت العصرية، ص68؛علي بن عبد الله الرومي، بلغة الظرفاء، ص166؛ بدر الدين العيني عقد الجمان،ص95؛علي مبارك الخطط التوفيقية، 18/2.

(2) ضرغام بن سوار: أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي الملقب بالمنصور ونائب الباب، وزرَ للخليفة العاضد الفاطمي سنة(558هـ/1163م)، وقتل بعد سنة من ذلك على أثر الصراع على منصب الوزارة الفاطمية، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،440/2-442؛ اليافعي، مرآة الزمان،312/3 .

(3) تقي الدين المقريزي : اتعاظ الحنفاء،312/3؛ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص143.

(4)شاور بن مجير: أبو شجاع شاور بن مجير السعدي الملقب بـ(أمير الجيوش) تولى أدارة منطقة الصعيد الأعلى بتكليف من الوزير صالح بن رزيك، ثم تولى منصب الوزارة الفاطمية، ولم يزل بها إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار، فالتجأ إلى الملك نور الدين زنكي بدمشق، فأرسل معه القائد أسد الدين شيركوه، فنصره على عدوه لكنه سرعان ما ان نكث عهده للملك نور الدين،فحنق عليه شيركوه، فتمت تصفيته بالاشتراك مع ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في سنة(564هـ/1169م) ينظر: ابن خلكان ،وفيات الأعيان،443/2،439؛ابن كثير البداية والنهاية،259/12.

(5) ينظر: أبو شامة،الروضتين،406/1.

(6) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص75؛ ابن خلكان،145/7؛ أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص79؛ محمد المقدم، أدلة الحجاب، ص129.

(7) أسد الدين شيركوه: أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان، أصله من الاكراد، خدم عند الزنكيين، فكان من كبار قادتهم، تولى منصب الوزارة الفاطمية في سنة(564هـ/1169م)، توفي فجأة بعد ثلاثة أشهر من توزيره، ينظر:الذهبي،تأريخ الإسلام،195/39؛الصفدي، الوافي بالوفيات؛ المقريزي،السلوك،148/1.

(8) أبو شامة، الروضتين،87/2 .

(9) ابن واصل، مفرج الكروب،138/1؛المقريزي، أتعاظ الحنفاء،266/3.

(10)الغامدي، استرداد بيت المقدس، ص33.

(11) ينظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص76.

(12) ابن واصل، مفرج الكروب،139/1، وعن تولية شاور منصب الوزارة للمرة الثانية والمنشور الذي أصدره الخليفة العاضد، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 10/ 310ومابعدها ؛ جمال الدين الشيال، مجوعة الوثائق الفاطمية، ص171.

(13) لما بلغ خبر محاصرة الصليبيين الى الملك نور الدين، لجأ إلى التشديد من هجماته على أملاكهم ببلاد الشام، فهاجم قلعة حارم، وقتل وأسر عدداً كبيراً من الصليبيين كان من بينهم قادة كبار، ولما عرف الصليبيون

ما حل بمعسكراتهم في بلاد الشام، طلبوا الصلح من القائد أسد الدين، ينظر: الحريري، الأعلام المبين، ص78.

(14) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص76؛ ابوشامة، الروضتين،1/411-413.

(15) ينظر: الذهبي،العبر،176/4؛ابن الوردي، التاريخ،73/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،12 /252 وما بعدها.

(16) علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية، ص113.

(17) ينظر: ابن الأثير،الكامل،4/10،3؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص29-30؛ ابن كثير، البداية والنهاية،12/252-253.

(18) ابن العديم، زبدة الحلب،293/2.

(19) الروضتين،407/1.

(20) وفيات الأعيان،145/7.

(21) برغش:الأمير شرف الدين برغش حاكم حصن الشقيف، أحد أبرز مماليك الملك نور الدين زنكي، كان معروفا بالشجاعة والرأي السديد، شارك في العديد من المعارك ضد الصليبيين، ينظر: ابن الأثير، الكامل ،10/ 4 .

(22) ابو شامة،12/2 .

(23) ينظر: ابن الأثير،الكامل،4/10.

(24) مفرج الكروب،160/1.

(25) أنسحب الصليبيون من مصر على أثر الصلح الذي عقد مع الوزير شاور بن مجير، من بنوده: يكون للصليبيين عدة ثكنات عسكرية في مدينة القاهرة، وان يدفع المصريين لهم مبلغ مائة الف دينار كضريبة سنوية ثابتة، فضلاً عن تحمل المصريين ما بذل الملك نور الدين زنكي من نفقات حملته العسكرية الثانية على مصر، وقدرت بخمسين ألف دينار، ينظر: ابن الأثير، الكامل،5/10.

(26)ابو شامة، الروضتين ،100/2

(27) ينظر: المصدر نفسه،46/2

(28) بلبيس: مدينة في مصر بينها وبين الفسطاط مسافة عشرة فراسخ تقع على الطريق المؤدي لبلاد الشام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 479/1 .

(29) ينظر:ابن الأثير، الكامل،12/10؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،350/5؛ عبد المنعم ماجد، ظهورالخلافة الفاطمية، ص383 .

(30) ابن الأثير، المصدر نفسه والجزء والصفحة، وينظر أيضا: ابو شامة، الروضتين ،2/ 48 .

(31) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،350/5 .

(32) ابو شامة،الروضتين،249/2، وينظر أيضا: السيوطي، حسن المحاضرة، 4/2.

(33) ينظر: ابن الأثير، الكامل، 13/10 .

(34) لكي تتضح الأحداث للقارئ نقول: إن الملك نور الدين زنكي كان له موقفاً من الشيعة الإمامية والإسماعيلية منذ أن كان حاكما على مدينة حلب، اذ ضيق عليهم، ومنعهم من أداء طقوسهم ، وقضى على مذهبهم، وما يلاحظ هنا ان الخليفة العاضد الفاطمي مع أنه محسوب على التشيع العام كونه إسماعيلي المذهب، لكنه تناسى ما أقدمَ عليه الملك نور الدين، وتغافل عن تعصبه في حق الشيعة بحلب ، وأرسل إليه طالباً النجدة لصد زحف الصليبيين، ونفسر ذلك ان الخليفة العاضد ترك العصبية المذهبية جانباً، وارتقى بالإحساس الوطني والديني، فمن المفروض ان تكون هذه نقطة وضاءة في سيرته، وعلى الأقل تدفع عنه تهمة ان الفاطميين كانوا متخاذلين عن التصدي للغزو الصليبي وحملاته، وما كانوا يكترثون. والحقيقة لم تكن كذلك مطلقاً، فالفاطميون كان لهم جهادهم، وعملوا على إيقاف الزحف الصليبي نحو بلاد الشام، بعد ان عجز السلاجقة عن صدهم، ولا نميل إلى الأخذ بما قيل إنهم هم الذين أستدعوا الصليبيين إلى بلاد الشام ليستعينوا بهم ضد السلاجقة، فالفاطميون كانوا دوما حماة الدين حتى المؤرخ ابن الأثير صاحب هذه الرواية شكك بمدى صحتها قائلاً:"والله أعلم" ولدينا سجلات عديدة بتقليد وتولية أمراء فاطميون جاهدوا ضد الصليبيين. ينظر: ابن الأثير، الكامل،14/9؛ القلقشندي، صبح الأعشى ،359/1 وما بعدها ؛ ماجد،ظهور الخلافة الفاطمية، ص373 .

(35) ابن الأثير، المصدر نفسه،13/10 .

(36)المصدر نفسه،14/10 .

(37) ينظر:ابو شامة، الروضتين،56/2-57؛ ابن كثير،البداية والنهاية ،256/12 ؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،351/5 .

(38) ابن كثير، المصدر نفسه والجزء والصفحة؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، 338/5 .

(39) أبو شامة، الروضتين،14/2؛ ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص389.

(40) ينظر:أبو شامة،المصدر نفسه،113/2 .

(41) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص296؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،6/6،ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،211/4 .

(42)ابن الأثير،الكامل،435/9.

(43) بيومي،قيام الدولة الأيوبية،ص89 .

(44) ينظر:أبو شامة،الروضتين،10/2 .

(45) حسن إبرهيم، الفاطميون، ص303

(46) أيمن السيد، تاريخ مصر، ص39 .

(47) ينظر:الذهبي، تاريخ الإسلام،19/39؛ابن خلدون، تاريخ العبر،5 /242.

(48) الروضتين،111/2 .

(49) الذهبي،العبر،185/4؛ابن العماد، شذرات الذهب،211/4 .

(50) ينظر: ابن الأثير، الكامل،17/10 .

(51) الروضتين ،70/2؛ وفيات الأعيان ،154/7؛ مفرج الكروب،168/1 . (52) ابن شداد،النوادر السلطانية،ص40 .

(53) ينظر:أبو شامة،الروضتين،152/2،72 .

(54) ابن صالح الأرمني،التاريخ، ص7-9 .

(55) أبو شامة،الروضتين،2/ 72، 151 .

(56) ينظر:ابن الأثير،الكامل،33/10 -34 .

(57) أبو شامة،الروضتين،184/2؛ المقريزي ، أتعاظ الحنفاء،317/3 .

(58) ابن كثير،البداية والنهاية،263/12؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،385/5 .

(59) ينظر:المقريزي, أتعاظ الحنفاء،321/3-322 .

(60) الفتوحات الربانية،111/2؛ وينظر ايضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان،206/7-207؛ أحمد بدوي،الحياة العقلية، ص44 .

(61) أبو شامة،الروضتين،190/2.

(62) المصدر نفسه،152/2.

(63) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،357/5 .

(64) أبو شامة،الروضتين،189/2.

(65) المقريزي،السلوك،152/1.

(66) ينظر:ابن الأثير،الكامل،49/10-55،52 .

قائمة المصادر والمراجع :-

اولاً:المصادر :

- أبن الأثير، أبو الحسن علي محمد بن محمد الشيباني(ت630هـ/1232م) .

1-الكامل في التاريخ، تحقيق: عبدالله القاضي، ط2 ، دار الكتب العلمية (بيروت،1974م) .

- بدر الدين العيني،ابو محمد أحمد بن موسى(ت855هـ/1415م) .

2-عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد رزق محمود، دار الكتب القومية (القاهرة،2010م) .

- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ/1470م) .

3- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد (مصر، د.ت) .

- الحريري، أحمد بن علي المغربي (ت926هـ/1519م) .

4-الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح (دمشق،1981م) .

- ابن خلكان،ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ/1282م) .

5- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، د.ت) .

.الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) .

6- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1 دار الكتاب العربي (بيروت،1987م) .

7-العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد،ط2، مطبعة حكومة الكويت (الكويت،1984م) .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت911هـ/1505م) .

8-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1 (القاهرة،1968م) .

- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الدمشقي (ت665هـ/1227م) .

9-الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق ط1، مؤسسة الرسالة(بيروت،1997م) .

- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع(ت632هـ/1235م) .

10-النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين)، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، مكتبة الخانجي(القاهرة،1994م) .

- الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1362م) .

11-الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار أحياء التراث العربي(بيروت،2000م) .

- ابن صالح، الأرمني(ت605هـ/1208م) .

12-التاريخ،المعروف بـ(كنائس وأديرة مصر)، المطبعة المدرسية(أكسفورد،1895م).

- عبدالله الروحي،علي بن ابي محمد(ت640هـ/1243م) .

13-بلغة الظرفاء في تواريخ الخلفاء، تحقيق: محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،د.ت) .

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد(ت660هـ/1262م) .

14-زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، (دمشق،د.ت).

- ابن علان الشافعي،محمد بن الصديقي المكي(ت 1057هـ/1647م).

15- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، دار إحياء التراث العربي، (بيروت،د.ت).

- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي(ت1089هـ/1678م) .

16- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير(دمشق،1985م) .

- عمارة اليمني،ابو محمد علي بن زيدان(ت569هـ/1174م) .

17- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق: هرتويغدرنبرغ، مطبعة مرسو، (شالون،1897م) .

- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أحمد(ت851هـ/1448م) .

18- الكواكب الدرية في السيرة النورية،ط1، دار الفكر(دمشق،1995م)

- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي(ت821هـ/1418م) .

19- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، (دمشق،1981م) .

- ابن كثير،إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت774هـ/1373م) .

20- البداية والنهاية،مكتبة المعارف، (بيروت،د.ت) .

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ/1441م) .

21- أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي أحمد، (القاهرة ، 1996م) .

22- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،،ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت،1997م) .

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ/1298م) .

23- مفرج الكروب في مناقب بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبعة باريس، (القاهرة،د.ت) .

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر(ت749هـ/1348م) .

24- التاريخ المعروف ب(تاريخ ابن الوردي) ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت،1966م) .

- اليافعي،محمد بن محمد بن عبد الله(ت768هـ/1367م) .

25- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الاسلامي(القاهرة،1993م) .

- ياقوت الحموي،شهاب الدين عبد الله الرومي(ت626هـ/1225) .

26- معجم البلدان،دار الفكر(بيروت،د.ت) .

ثانياً: المراجع:-

- باركر,أرنست .

1- الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط2، دار النهضة (بيروت،د.ت)

- بدوي،أحمد .

2-الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة (القاهرة ،د.ت) .

- بيومي،علي .

2- قيام الدولة الأيوبية في مصر،ط1،دار الفكر(مصر،1952م) .

- حسن،إبراهيم حسن .

4- الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية (القاهرة،1932م) .

- سيد،أحمد فؤاد .

5- تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، مكتبة مدبولي (القاهرة،2002م) .

- الشيال، جمال الدين .

6- مجموعة الوثائق الفاطمية، ط1،مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2002م)

- قاسم، قاسم عبدة .

7 - ماهية الحروب الصليبية،عين للدراسات والبحوث(القاهرة،1993م) .

- ماجد،عبد المنعم .

8- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر،ط4،دار الفكر(القاهرة،1994م)

- مبارك،علي .

9- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط1، المطبعة الاميرية (القاهرة،د.ت) .

- المقدم، محمد أحمد .

10- أدلة الحجاب، دار الايمان(الاسكندرية،د.ت) .

ثالثا:- الرسائل الجامعية:-

- الغامدي،عبدالله .

1- أسترداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى (مكة المكرمة،1982م) .